جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

العصر الحجري المعدني

محاضرة لطلبة المرحلة الاولى
مادة تاريخ العراق القديم

ا.م.د. انتصار نصيف شاكر

*

يضع الباحثون نهاية العصر الحجري الحديث في العراق في اواسط الالف السادس قبل الميلاد (حدود ٥٦٠٠ ق .م) حيث يبدأ ما يعرف عادة بالعصر الحجري – المعدني الذي شغل الفترة الواقعة بين نهاية العصر الحجري الحديث وحتى ظهور اولى العلامات الصورية التي استخدمت للكتابة في اواسط الالف الرابع قبل الميلاد (حدود ٣٥٠٠ ق.م) ، اي ان هذا العصر امتد قرابة الفي سنة كانت ذات اهمية كبيرة في نمو وتطور الحضارة العراقية القديمة حيث شهد نشوء وتطور عناصر حضارية مهمة كانت الاساس الذي قامت عليه الحضارة الناضجة في الالف الثالث قبل الميلاد .

وقد اطلق الباحثون تسميات مختلفة على هذا العصر فسمي بعصر ما قبل السلالات لانه سبق العصر الذي ظهرت فيه السلالات الحاكمة في بلاد سومر واكد كما هي معروفة لدينا من بعض النصوص المسمارية والآثار المادية الاخرى ، وسمي بعصر الفخار الملون نسبة الى الفخار الملون الجميل الذي انتشرت صناعته في مختلف المواقع التي تعود الى هذا العصر ، وسمي بالعصر الحجري المعدني لان الانسان استخدم في القسم الثاني منه المعادن الى جانب الحجارة لصناعة الالات والادوات والحلي .

وحيث ان الفترة الزمنية التي استغرقها هذا العصر طويلة، فقد ارتأى الباحثون تقسيمها الى عدة ادوار حضارية تتميز بعضها عن بعضها الاخر بسمات حضارية معينة ، والدور الحضاري، يمثل حقبة زمنية قد تدوم بضعة قرون وتمثلها عدة طبقات أثرية (سكنية) في الموقع الذي يضم آثار هذا العصر ، وتتميز آثارها بطرزها المعمارية واوانيها الفخارية وزخرفتها وبعض الخصائص الحضارية الاخرى ، كما يتضمن كل دور حضاري عادة تبدلات جوهرية نتيجة ظهور بعض الاختراعات الجديدة ، كاستخدام الفخار او المعدن او اختراع العجلة او السفينة الشراعية او الاختام والى غير ذلك من الاختراعات ، وغالباً ما يضم الموقع الأثري الواحد بقايا اكثر من دور حضاري واحد وذلك لان الانسان اثر السكن في موقع واحد لاجيال عديدة وترك لنا آثار سكناه في طبقات متتابعة ففي مدينة الوركاء مثلاً ، وهي مدينة تقع في جنوب العراق فقد اظهرت التنقيبات التي أجريت فيها انها تضم ثمانية عشر طبقة أثرية (سكنية) متتابعة تمثل اربعة ادوار حضارية رئيسية فقط ، فالطبقات السفلى تمثل ما يعرف بدور العبيد والطبقات التي تليها ، تمثل دور الوركاء ثم دور جمدة نصر واخيراً تمثل الطبقات العليا دور عصر السلالات ، اما تسمية هذه الادوار ، فهي نسبة الى اسماء المواقع الاثرية التي اكتشفت فيها آثار الدور الحضاري لاول مرة ، وبما انه كان اكتشاف آثار دور العبيد لاول مرة في تل العبيد في جنوبي العراق ، ولاننا لا نعرف اسم الموقع القديم ، فقد اطلق

المنقبون اسم تل العبيد على الدور الحضاري الذي تمثله الآثار المكتشفة لاول مرة في العبيد ، وهكذا بقية المواقع والتسميات .

الادوار الحضارية الرئيسية التي شغلت فترة الالفين سنة المخصصة لهذا العصر وهي :

١- **دور حسونة :** نسبة الى موقع حسونة جنوبي شرقي الموصل بخمسة وثلاثين كيلومتراً، وهو اول ادوار العصر الحجري المعدني ، وقد وجدت في الطبقة السفلى منه اثار مستوطن من العصر الحجري الحديث وتي ذلك طبقات العصر الحجري المعدني التي سميت بدور حسونة وقد شيدت البيوت في هذا الدور من الطين (الطوف) وصنعت الاواني الفخارية البسيطة المزخرفة بحزوز والوان ، وقد انتشر استخدام فخار دور حسونة في عدد من المواقع في شمال العراق الا أننا لم نعثر على آثار معاصرة لهذا الدور في القسم الوسطي والجنوبي من العراق .

٢- **دور سامراء :** نسبة الى مدينة سامراء العباسية ، تميز فخار هذا الدور والذي عثر عليه في عدد من المواقع في شمال ووسط العراق فقط ، بأن اوانيه ملونة بلون واحد ومزخرفة بزخارف هندسية وبعض الرسوم المبسطة للحيوانات .

٣- **دور حلف :** نسبة الى موقع أثري اسمه حلف يقع على الحدود التركية السورية ضمن الحدود السورية، أظهرت التنقيبات الأثرية في الموقع أن اسمه القديم كان كوزانا ، حيث كان عاصمة لمملكة ارامية ازدهرت في القرن العاشر قبل الميلاد ، تميز فخار دور حلف بروعته وجماله ودقة زخارفه الملونة بعدد من الالوان وقد كشف على فخار دور حلف في عدد من المواقع في القسم الشمالي من العراق فقط وظهرت في هذا الدور بوادر استعمال المعادن ، واتسعت القرى الفلاحية وزاد عدد سكانها وظهر استخدام الاختام المنبسطة وشيدت البيوت السكنية الدائرية الشكل ووجدت بقايا بعضها في تل الاريجة في الموصل .

٤- **دور العبيد :** نسبة الى تل العبيد القريب من مدينة اور حيث كشف فيه عن فخار ملون مميز ، ويعد دور العبيد اقدم دور استيطان في القسم الجنوبي من العراق وقد وجد فخار العبيد في عدد كبير من المواقع المنتشرة في انحاء كثيرة من العراق شمالاً وجنوباً ، قسم الباحثون دور العبيد الى اربعة اطوار يعاصر الطوران الاول والثاني منهما دور حلف في شمالي العراق ، ووجدت آثار دور العبيد خارج حدود بلاد وادي الرافدين في ايران وبلاد الشام وفي الاجزاء الساحلية من الخليج العربي ولاسيما السواحل التابعة للملكة العربية السعودية اضافة الى المواقع المكتشفة في داخل المملكة العربية السعودية نفسها ، وفي دور

العبيد زاد استخدام المعادن لصناعة الالات والادوات والحلي واتسعت القرى والمدن وشيدت البيوت باللبن المنتظم كما ظهرت اشارات الى وجود اتصالات تجارية مع بعض الاقطار الخارجية لجلب المواد الخام الضرورية .

الخصائص العامة للعصر الحجري المعدني

١-تطور اساليب الزراعة حيث كانت الزراعة في العصر الحجري الحديث للاكتفاء الذاتي، اي ان الانسان كان يزرع مساحات محدودة من الارض يكفي انتاجها لسد حاجاته الذاتية فقط ، وهي هذا العصر ، اتسعت الاراضي التي كان يزرعها فكان هناك فائض في الانتاج يزيد عن حاجة الفلاح مما دفعه لمبادلته بمواد اخرى فائضة عن حاجة الاخرين ونتج عن ذلك ان تخصص كل فرد بانتاج نوع من الحاجيات، فكان هناك من يصنع الفخار او يشيد البيوت او يغزل الصوف وينسج الملابس او يصنع الالات والادوات الزراعية او يزرع الحبوب او غيرها من المحاصيل الحقلية .

٢- ادى التخصص بالعمل الى ظهور عدد من الحرف اليدوية الجديدة وأدت الزيادة في الانتاج الى المقايضة التي كانت الاساس الذي قامت عليه التجارة فيما بعد .

٣- غدت القرى الزراعية الصغيرة اكبر حجماً وزاد عدد سكانها واصبحت نواة للمدن والمراكز الحضارية التي قامت فيما بعد، وامتازت قرى العصر الحجري المعدني اضافة الى سعتها ، بتنظيمها واساليب البناء المتطورة فيها وباحتوائها على شوارع مبلطة تفصل بين البيوت وتنظم حركة الانتقال بينها .

٤- عاش الانسان في القسم الاول من هذا العصر في القسم الشمالي والشمال الغربي من العراق فقط ، اي في المنطقة التي عرفت فيما بعد ببلاد آشور ، وفي النصف الثاني منه بدأ بالانتقال للسكن في السهل الرسوبي في وسط وجنوبي العراق ، ويبدو أن هذا الجزء من العراق لم يكن صالحاً للاستيطان في الفترات السابقة وربما كانت هناك بعض الاقوام الرعوية التي أقامت فيه خيمها ، فكان ذلك تمهيداً لمجئ المزارعين الاوائل الذين كان عليهم أن يباشروا بإنشاء مشاريع الري وتسخير مياه الانهار الوفيرة لري الاراضي المحيطة وزراعتها ، لذلك ، لم يكشف في القسم الجنوبي على آثار الادوار الحضارية الاولى من العصر الحجري المعدني، دور حسونة ودور سامراء ودور حلف ، وكانت اقدم الآثار المكتشفة في اسفل المواقع الأثرية من دور العبيد ، وهو آخر ادوار العصور الحضارية .

٥- على الرغم من أن اسم هذا العصر يشير الى استخدام المعادن ، فإن المكتشفات الأثرية تؤكد أن المعدن لم يستخدم الا في النصف الثاني من العصر ، وكان النحاس في مقدمة المعادن التي استخدمت لصناعة الالات والادوات .

٦- ظهرت اولى البنايات العامة المخصصة للعبادة ، أي المعابد ، ويرقى تاريخ اقدم المعابد المكتشفة الى دور العبيد (طور اريدو) ، وكانت المعابد الاولى تتألف من حجرة مربعة تقريباً تحتوي على دكة قرابين ومذبح وتتجه زوايا المعبد عادة الى الجهات الاربع الطبيعية .

٧- كان من النتائج الطبيعية لتطور الحياة وزيادة الانتاج ونشوء المدن الاولى ان تم اختراع بعض المبتكرات التي زادت في الانتاج وحسنت في اساليب الصناعة كدولاب الخزاف، او ما يسمى بالقرص ، والسفينة الشراعية وربما التوصل الى عمل العربة ذات العجلة التي زادت في سرعة التنقل .

٨- كان من نتائج الانتقال الى القسم الجنوبي من العراق (بلاد بابل) والقيام بمشاريع الري، كبناء السدود لدرء اخطار الفيضانات، وفتح الجداول والاقنية لا يصال المياه الى الاراضي الزراعية ان ظهرت الحاجة لا يجاد اولى الادارات المركزية لتنظيم جهود الجماعات في إنشاء تلك المشاريع والتخطيط لها وبذل الجهود المضنية للمحافظة عليها وإدامتها ، فكان أن نشأت اولى انظمة الحكم السياسية التي تطورت فيما بعد الى ما عرف بنظام دول المدن .

٩- تشير بعض الآثار المكتشفة والمصنوعة من مواد اولية غير متوافرة في العراق، كالمعادن وانواع معينة من الحجارة الصلبة الى وجود اتصالات خارجية مع بلدان اخرى ، يؤكد ذلك وجود تأثيرات حضارية عراقية على حضارات بعض تلك البلدان ، سواء في الطرز المعمارية او في العثور فيها على آثار تحمل سمات عراقية واضحة ، كلاختام الاسطوانية والاواني الفخارية ، ومن هذه البلدان وادي النيل وجزر البحر المتوسط والاجزاء الجنوبية الشرقية من آسيا الصغرى وبلاد الشام وبلاد عيلام وسواحل الخليج العربي .

١٠- تميز العصر الحجري – المعدني بفخاره جميل الصنع والمتعدد الالوان الى درجة سمي العصر باسمه حيث عرف لدى بعض الباحثين بعصر الفخار الملون ، وقد صنف الفخار حسب اشكاله وانواعه والوانه وزخارفه وزمان ومكان صناعته وسلسلت استناداً الى ذلك الأدوار الحضارية المتتابعة .